إذا قمت عنّاني الحديد وغُلّقت ... مصاريع من دوني تُصم المناديا
هلم سلاحي لا أبالك إنني ... أرى الحرب لا تزداد إلا تماديا
ولله عهدٌ لا أخيس[1] بعهده ... لئن فرجت ألا أزور الحوانيا[2]

ثم قال يا سلمى : هل لك من خبر إلى ؟ فقالت : وما ذاك ؟ قال : تخلين عني وتعيرينني البلقاء فرس سعد ، ولله عليّ إن سلمتُ أن أرجع حتى تضعي رجليّ في القيد . فترددت سلمى حتى تبينت الصدق في قوله فأطلقته . وركب أبو محجن البلقاء ثم دب عليها ؛ حتى إذا تنفس الصبح وأشرق يوم أرماث واصطف الناس ، حمل على ميسرة العدو حملة صادقة فانخلعت لها القلوب ، وانخرعت منها الفيلة ، وتضعضعت أمامها الفرس . وعجب العرب أن يكون فيهم هذا الفارس ولا يعرفونه ، حتى قال أحدهم : إن كان الخضر يشهد الحرب فهو صاحب البلقاء . وقال آخر : لولا أن الملائكة لا يقاتلون ظاهرين لقلنا هذا ملك . وجعل سعد يقول وهو يشرف على المعركة: الطعن طعن أبي محجن، والضبر[3] ضبر البلقاء ، ولولا حبسه لقلت إنه هو !

وانتصف الليل فتحاجز العسكران ؛ وأقبل أبو محجن حتى دخل القصر ووضع رجليه في القيد !

وكانت سلمى قد رأت فعله وسمعت قوله فأعجبت بإبائه ووفائه وبطولته. ثم دخلت على سعد وكانت مغاضبة له ، فصالحته وأخبرته بخبر أبي محجن ، وسألته أن يطلقه . فاستخف سعداً ما رأى من فتوة أبي محجن ورضا زوجه ، فدعاه وقال له وهو لا يزال في حماسة الإعجاب ونشوة الغبطة : والله لا أحبس بعد اليوم رجلاً نصر الله المسلمين على يديه هذا النصر ، ولا أعاقبه إذا شرب . فقال له أبو محجن وقد بدت على محياه سِماتُ النبل ودلائل المروءة :

— وأنا والله لن أذوقها بعد الساعة . لقد كنت أشربها أنفةً من أن يقولوا خاف الحد ، فأنا اليوم أتركها رغبة في أن يقولوا خاف الله !

أحمد حسن الزيات

(١) خاس بالعهد : نكث
(٢) حوانيت الخمر
(٣) ضبر الفرس : جمع قوائمه ووثب

المرأة في شباب الرسول

للأستاذ توفيق الحكيم

لم يرو لنا التاريخ أن النبي عرف امرأة أو تحرك قلبه لامرأة قبل خديجة. فلقد كانت حياته حتى الخامسة والعشرين حياة الشاب الهادئ البعيد عن النساء ، العاكف على عمله ، يرعى الغنم في الفلاة ويلجأ إلى التأمل العميق . فلم يكن للهو والمرأة حتى ذلك الوقت مكان من اهتمامه أو تفكيره . كل ما ورد مع ذلك من أخبار لهو الشباب أنه قال ذات ليلة لفتى من قريش كان معه بأعلى مكة يرعيان غنم أهلها : « أبصر لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان » . ثم خرج . فلما جاء أدنى دار من دور مكة سمع غناء وصوت دفوف ومزامير ، فجلس يلهو بذلك الصوت حتى غلبه النعاس فنام في مكانه ولم يوقظه إلا مس الشمس. فرجع إلى صاحبه فسأله: « ما فعلت؟ » فأخبره بما كان . وكان هذا شأنه في كل ليلة من مثل هذه الليالي

كانت العفة المطلقة إذن هي صفته الغالبة ؛ وكان الزهد والحلم والصبر والتواضع ما ميزه عن بقية الشبان ، وما جعل قومه يسمونه « الأمين » .

ما الذي كان يشغل رأس الشاب محمد في تلك السن ما دام اللهو والمرأة لا محل لهما عنده ؟ أتراه كان يحس في قرارة نفسه بمصيره العظيم ؟ نعم .

ولعل هذه الفكرة تملكت كيانه وطغت على كل شبابه فلم تتسع حياته فى ذلك الوقت لشىء آخر .

لقد كان هذا دائماً شأن أغلب أولئك الذين انتظرتهم أقدار عظام، وتملكتهم منذ شبابهم مثل عليا وأحلام ، عمرت كل أعوام شبابهم وحلت فيها محل اللهو والمرح .

إن كل شاب يعيش مع شبح امرأة جميلة إلا الشاب الموعود برسالة عظمى فهو يعيش دائماً مع شبح المجد المنتظر .

لعل هذا يفسر لنا بعض الشىء حياة الفتى محمد حتى الوقت الذى لقى فيه أول امرأة أحبها « خديجة » . وإنا لو تأملنا الأمر ملياً لتبين لنا أنه لم يكن البادئ بالحب . كل شىء يدل على أن الزواج لم يخطر له على بال ، والزوجة والمرأة آخر ما كان يفكر فيه وقتئذ ، فلقد كان يسير فى طريق تأملاته الداخلية وأحلامه العليا، وكأنه لا يمشى على هذه الأرض إلى أن لحظته خديجة ذات يوم ولمست كتفه فأفاق قليلاً ورفع عينيه إليها .

نعم . إنها هى التى كانت ترقبه منذ زمن ؛ وإن لشعورها نحوه جذوراً ممتدة فى أغوار قلبها ، امتداد عرق الذهب فى المنجم العميق . ما مبدأ هذا الشعور ؟ لعله ذلك اليوم الذى احتفلت فيه نساء قريش بعيد لهن ، وكانت خديجة بينهن عند وثن من الأوثان فبرز لهن أحد اليهود ونادى بأعلى صوته : « يا نساء تيماء! إنه سيكون فى بلدكن نبى يقال له محمد ، فأيما امرأة استطاعت أن تكون له زوجاً فلتفعل ! » فقذفته النساء بالحجارة وقبحنه وأغلظن له، إلا خديجة فإنها أطرقت وكأن شيئاً وقع فى نفسها من كلامه .

ثم حدث بعد ذلك أن خديجة — وقد كانت ذات مال كثير وتجارة تبعث بها إلى الشام وتستأجر من أجلها الرجال — أرسلت الشاب « محمداً » فى تجارتها وضاعفت له الأجر وأرسلت معه غلامها ميسرة ، فعاد رابحاً ضعف ما كانت تربح التجارة على يد غيره ، لأمانته واجتهاده

وقص عليها عندئذ غلامها « ميسرة » وقد راقب محمداً فى رحلته ما رآه من خلق هذا الشاب المستقيم الأمين ، ولعله أخبرها فيما أخبر أن أحد الرهبان قابله ، وأنهما تذاكرا ملياً فى أمر النبى الموعود المسمى « محمد » كل هذا مع ما تشبعت به الأذهان من أساطير النبوة المنتظرة قد ألقى فى روع خديجة أنها أمام شاب لا يبعد أن يكون هو النبى الموعود .

فإذا أضفنا إلى كل هذا أن محمداً كان فتى فى الخامسة والعشرين كريم الخلق جميل المنظر ، وأن خديجة كانت امرأة فى الأربعين ، أدركنا أن مثلها كان لا بد له أن يحب مثله . وهل يمكن أن نسمى هذا الشعور باسم آخر غير « الحب » ؟ ذلك الذى يدفع امرأة ذات شرف وثروة أن تبدأ هى الخطوة الأولى نحو فتى فقير يتيم؟ هى التى قد تتقدم إليها أكرم رجال قريش نسباً وأعظمهم شرفاً وأكثرهم مالاً ، طلبوها وبذلوا لها الأموال فلم تلتفت إليهم ، وأرسلت تابعتها « نفيسة » رسيساً إلى الشاب محمد تعرض عليه يدها

منبع الحب إذن كان قلب « خديجة » ، ولقد كان هذا الحب سامياً قوياً عظيما فاستطاع أن يفتح قلب محمد وأن يملأه كل تلك الأعوام التى عاشتها خديجة، بل إن الحب لم ينطفئ بموت خديجة، ولقد ظل مكانها من قلبه قائماً دائماً لم تستطع قط امرأة أن تزاحمها فيه .

هذا هو حب محمد الأول ، وتلك ناحية من نواحى الفضل المجهولة لم يذكرها الناس كثيراً لخديجة بما هى أهله من التكريم والتمجيد .

توفيق الحكيم

قرش فلسطين

دعت جمعية الشبان المسلمين إلى التبرع بقرش لإغاثة منكوبى فلسطين ، وستجمعه قريبا. فباسم الاسلام الذى يحض على التعاون، والمروءة التى تدعو إلى النجدة ، والمروءة التى تعطف على المظلوم ، والانسانية التى تحدب على المنكوب، تدعو الرسالة كل إنسان أن يبادر إلى بذل هذا القرش الصغير، فى سبيل هذا السعى الكبير .

كتاب جديد للمؤلف :

توفيق الحكيم

براكسا

أو

مشكلة الحكم

راقصة المعبد

ثمن النسخة من كل كتاب ١٠ قروش مصرية عدا أجرة البريد

تطلب من جميع المكاتب الشهيرة